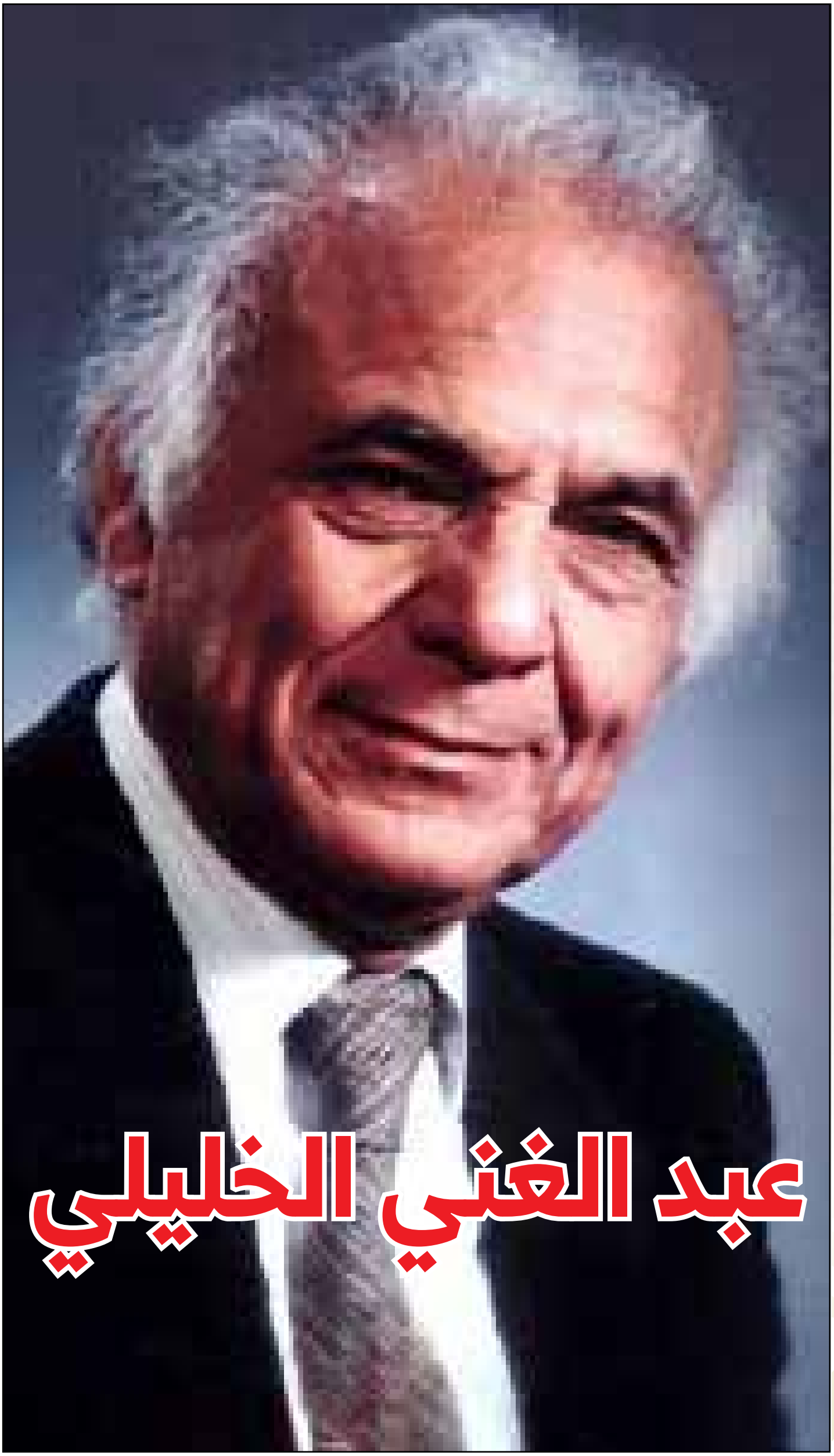

عراقيون
من زمن التوهج

عبد الغني الخليلي

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (5436) السنة العشرون -
الخميس (25) أيار 2023

عبد الغني الخليلي: سلاماً يا حَبيب!

د. جليل العطية

[أيها الخلّ الخليليّ الذي يُعشب قلبي كلما اقرأ
ما يكتب، أو أسمع ما يروي: سلاماً! قدر ما كان من البرحي في جنّتنا البصرة يوماً، قدر أحزاني وأفراح الندى النائم في جمبدة الجوريّ في
بغداد، والأصداء تنداح مع الريح إلى الروح من
الحضرة في فجر الغريّ الأخضر الفاتن، برداً وسلاماً.

محمد سعيد الصكار

ولد (عبد الغني بن حميد بن إسماعيل بن علي الخليلي) في مدينة النجف، ويعود نسبه إلى (آل الخليلي) وهي من الأسر النجفية العلمية والأدبية البارزة التي استوطنت مدينة الأمام علي – أواسط القرن الثالث عشر وجدها الأعلى الخليل الرازي المؤسس لكيان هذه الأسرة.

وقد نبغ فيها مشاهير في العلم والطب والأدب والشعر والصحافة لعبوا دوراً مهماً في النجف كان أبرزهم (حسين الخليلي) الذي تزعم مرجعية الشيعة في النجف بدايات القرن العشرين ومحمود الخليلي شيخ أطباء العراق قاطبة كما يؤكد (جعفر محبوبة).

وسطع في سماء الأدب العراقي (جعفر الخليلي) أحد رواد القصة وصاحب جرائد الفجر الصادق والراعي والهاتف ومؤلف (هكذا عرفتهم).

– نشأ عبد الغني في أفياء الأسرة الخليلية وكنفها مّما ساهم في نمو وتفتح موهبته الشعرية وقريحته الأدبية بصورة مبكرة وساعدته دراسته في المدارس الرسمية قبل استقراره كطالب علوم دينية في مدرسة الخليلي الكبرى وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة بعد، حيث تلقى علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة على يد أساتذة كبار كحسين مروة [١٩٠٨ – ١٩٨٧ م] ونوري الجزائري ومحمد جمال الهاشمي ومحمد تقي الخليلي وتحت تأثيرهم عشق القراءة، قرأ دواوين الشعر ومال إلى افتراس الكتب الأدبية والمجلات المتيسرة في مكتبة مدرسة الخليلي وما يحمله الطلاب والاساتذة العرب والأجانب من كتب فكرية وتقدمية وما توفره جمعية الرابطة الأدبية التي نال عضويتها.

– استهوى الخليلي الأدب وجال في عوالمه وكذلك الشعر بعد أن درس العروض والأوزان وحفظ الكثير من غرر القصائد لكنه لم يكتف بالشعر القديم بل أطلع على الشعر الحديث، وكان الشعر في النجف لا يتجاوز قضية الطف واستشهاد الأمام الحسين لكن عبد الغني تجاوز إلى هموم الوطن العربي وقضية فلسطين وسعى إلى تطوير تلك المفاهيم بالتعاون مع كوكبة من الشعراء بينهم محمود الحبوبي (ت ١٩٦٩) وعبد الرزاق محيي الدين (ت ١٩٨٢) ومصطفى جمال الدين (ت ١٩٩٦) الذي نظم معه قصيدة مشتركة أوحتها لهما جلسة شاعرية على شط الكوفة في مساء حالم.

بدأ عبد الغني في العشرين من عمره يكتب خواطره وشعره فجاءت قصائده متسمة بالصدق والدفء كما يؤكد (فائق محمد حسين الخليلي) وشعره يحفل بمفردات الريف العراقي بخضرته ونداه.

– وفي أربعينات القرن الماضي أخذت قصائده تتسلق صحف بغداد ومجلات النجف وفي مقدمتها جريدة الهاتف وراح يدير الندوات ويساهم في المنتديات الثقافية في النجف.

وعبد الغني الخليلي هاو للكتب واقتناء النادر منها فجمع مكتبة عامرة نقلها لاحقاً إلى بغداد، وله توثيق (أرشيف) حافل يزخر بالنوادر الأدبية، ولم يقتصر نشاط الخليلي على الجانب الأدبي فتعداه إلى العمل الوطني والمشاركة في التظاهرات الوطنية.

– وفي بداية سنوات الخمسين وأثر قبول شقيقه الشاعر (علي) في كلية الحقوق استقرت الأسرة في بغداد، وهناك انفتحت للخليلي مجالات أكثر اتساعاً، فارتبط بعلاقات صداقة حميمة مع ألمع الشعراء كالجواهري والسياب والبياتي وسعدي يوسف والمع الأساتذة كابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي وعلي جواد الطاهر ثم آخرون من بينهم الروائي غائب طعمة فرمان والخطاط الشاعر محمد سعيد الصكار وغيرهم وفي هذه الفترة التحق بوظائف إدارية فشغل منصب مدير البنك اللبناني المتحد في بغداد وأثر عملية تاميم النفط (١٩٧٢) عين مديراً لمصرف الرافدين في بغداد ولا شك أن هذه الوظائف قلّصت من نشاطه الأدبي والفكري لكنه بقي مثابراً على الكتابة في الصحف.. كما بقي على صلة بالقوى الوطنية اليسارية فتعرض إلى المضايقات وما أن اشتعلت الحرب العراقية – الايرانية [١٩٨٠ – ١٩٨٨] حتى عمدت السلطة إلى تهجير الألوف من العراقيين إلى إيران بدعوى عدم امتلاكهم الوثائق العثمانية.

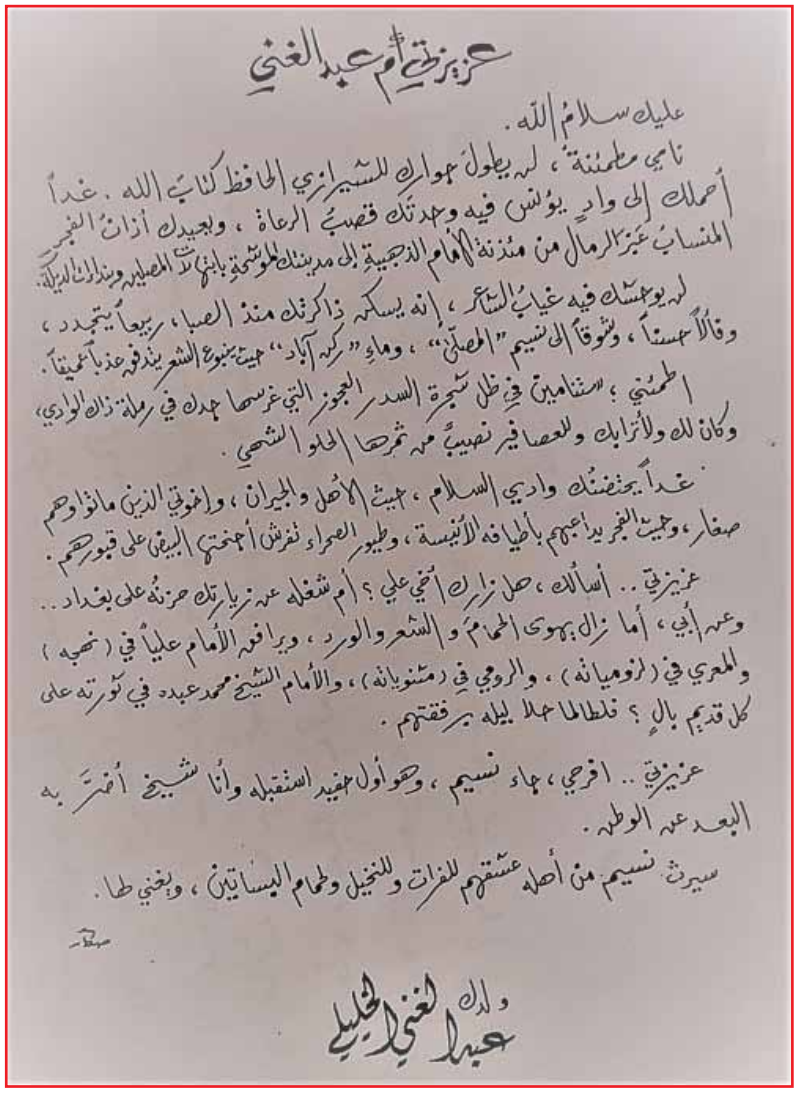

وفي نيسان ١٩٨٠ تم تهجير العشرات من آل الخليلي في النجف وبغداد وانتزعت السلطة ممتلكاتهم وأوراقهم الثبوتية وهدمت مدارسهم الثلاث في النجف وأزالت حتى مقابرهم، وشمل التهجير عبد الغني وأمه العجوز، قذف بهم على الحدود في رحلة مريرة حزينة أجبر خلالها (عبد الغني) على حمل أمه المريضة لثلاثة أيام متتالية بعد أن تعمد حرس السلطة إرسالهم في طريق خاطئ ليضاعفوا عذابهم.. راح عبد الغني يمشي وأمه على ظهره يطوي بها الفيافي والصحارى وهم جياع ولقد توفيت أمه بعد وصولهم، ودفنها بمدينة شيراز... وبقي (عبد الغني) في المخيم المخصص للمهجرين في إيران حتى ١٩٨٣ حيث هاجر إلى السويد ملتحقا بولديه الهاربين من البطش وكانا قد نالا اللجوء قبله ثم انتقلا لاحقاً إلى استراليا..

– على الرغم من المرض الذي أصاب عينيه واطفأ إحداهما ومع شواغل الحياة وهمومها وعلى الرغم من فجيعته بفقد شقيقه (علي) بين يديه كان (عبد الغني) يتطلع إلى العودة للوطن ويتشوق إلى مكتبته ليمارس الكتابة مستعيناً بذاكرته فنشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات واحتفت به الأوساط الثقافية وأصدر كتابين يحملان عنوان (سلاماً يا غريب) صدر أحدهما عن دار المنفى بالسويد والثاني عن دار المدى بدمشق.

ورحل في تشرين الثاني ٢٠٠٢ م إلى جوار ربه ودفن في ستوكهولم إلى جوار قبر أخيه (علي) والمحزن أنه خذل محبيه فلم ينتظر عاماً وبعض عام لسقوط الدكتاتورية، فيعود إلى بيته ومكتبته ومحبيه.

سمعت اسمه أول مرة من الشاعر عبد الامير الحصيري [١٩٤٣ – ١٩٧٨] قال: أتدرون: هناك شاعران نجفيان يعشقان الشعر والحياة والحب؟

– من هما يا أمير؟

– علي وعبد الغني الخليلي

كان الحصيري – الشاعر المتشرد – في كامل وعيه، بل كان أنيقاً يجلس في زاوية بمقهى البرلمان في بغداد يحيط به ثلاثة أو أربعة من مريديه أعرف منهم " خالد يوسف إسماعيل " (من شعراء الستينات) وقبل أن أترك المقهى قال الحصيري وهو يسحب نفساً من (الناركيله):

– أعترف أنهما كريمان، يقدمان لي عوناً مادياً من حين لآخر.. قال هذا في لثغته المتميزة.

– لم اسأل عن سر أناقة الحصيري ذلك الصباح لانني أعرف انها مؤقتة.

– التقيت (الخليلي) وجها لوجه في مكتبة المثنى الواقعة في شارع المتنبي ببغداد ذات صباح شتوي – عرفني به الكتبي قاسم محمد الرجب [١٩١٧ – ١٩٧٤] صاحب المكتبة، ناداني قائلاً: تعال يا جليل وانظر: نجفي يبحث عن دواوين الشعر الحر..

أجبته بهدوء: ما الضير في الاطلاع يا أبا محمد؟

سرّ (عبد الغني) وصافحني لننتقل إلى مقهى (حسن العجمي) الكائن في شارع الرشيد.. تبادلنا الحديث في جو من الالفة ووجدنا مشتركات كثيرة بيننا على الرغم من الغيوم واختلاف وجهات النظر، ثم التقينا غير مرة في

عزيزتي أم عبد الغني

عليك سلام الله.

نامي مطمئنة، لم يطول جوارك للشيرازي الحافظ كتاب الله. غداً أحملك إلى وادٍ يؤنس فيه وحدتك قصب الرعاة، ويعيدك أذان الفجر المنساب عبر الرمال من مئذنة الإمام الذهبية إلى مدينتك الموشحة بأبناء المصلين وبنداءات الديكة.

لم يوحشك فيه غياب الشاعر، إنه يسكن ذاكرتك منذ الصبا، ربيعاً يتجدد، وفألاً حسناً، وتشوقاً إلى نسيم "المصلى"، وماء "ركن آباد" حيث ينبوع الشعر يتدفق عذباً عميقاً.

اطمئني، ستنامين في ظل شجرة السدر العجوز التي غرسها جدك في رملة ذاك الوادي، وكان لك ولأترابك وللعصافير نصيب من ثمرها الحلو الشهي.

غداً يحتضنك وادي السلام، حيث الأهل والجيران، وأخوتي الذين ماتوا وهم صغار، وحيث الفجر يداعبهم بأطيافه الأنيسة، وطيور الصحراء تفرش أجنحتها البيض على قبورهم.

عزيزتي.. أسألك، هل زارك أخي علي؟ أم شغله عن زيارتك حزنه على بغداد.. وعن أبي، أما زال يهوى الحمام والشعر والورد، ويرافق الإمام علياً في (نهجه) والمعري في (لزومياته)، والرومي في (مثنوياته)، والإمام الشيخ محمد عبده في ثورته على كل قديم بالٍ؟ فلطالما حلا ليله برفقتهم.

عزيزتي.. افرحي، جاء نسيم، وهو أول حفيد استقبله وأنا شيخ أضرّ به البعد عن الوطن.

سيرث نسيم من أهله عشقهم للفرات وللنخيل ولحمام البساتين، ويغني لها.

ولدك
عبد الغني الخليلي

العدد (5436)
السنة العشرون - الخميس (25) أيار 2023

الاديب الخليلي يناجي أمه

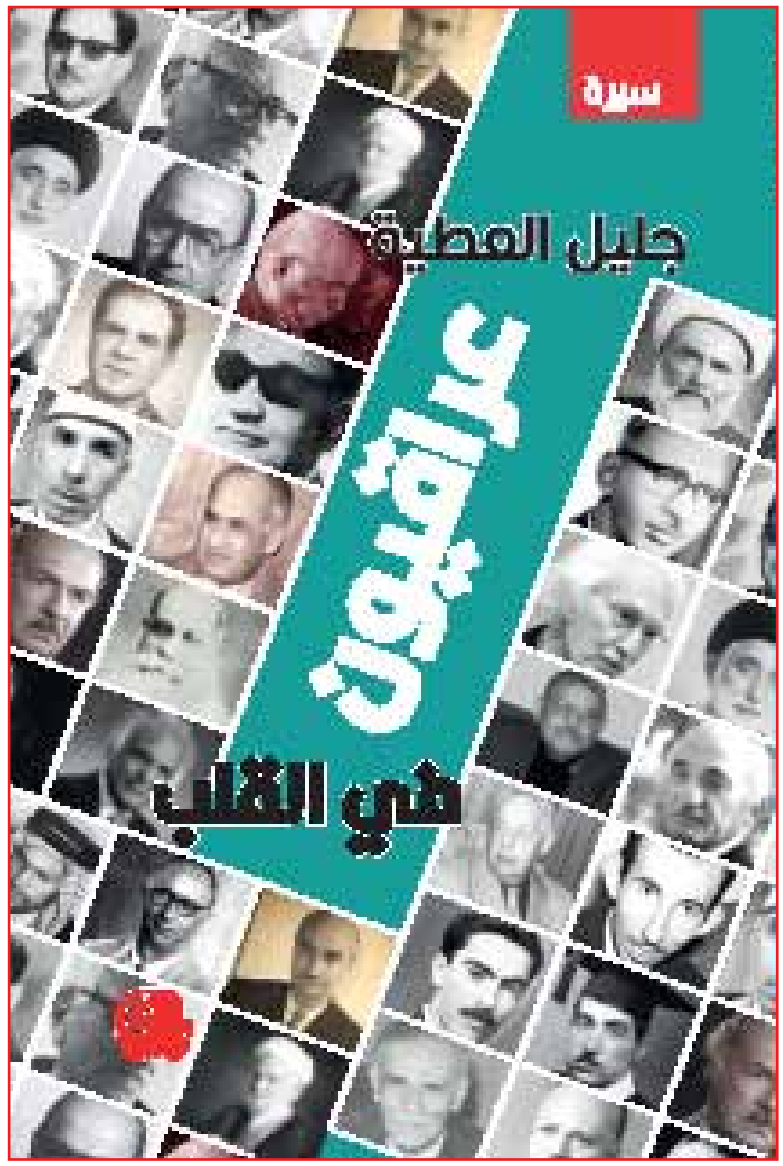

مقر جمعية الرابطة الأدبية في النجف بمناسبات عديدة، كان إسهامه قليلاً لكنه يلفت النظر خاصة إذا ارتجل الشعر، ثم غادرت العراق وانقطعت صلتنا حتى هبطت علينا الحرب العراقية – الايرانية وذيولها وكوارثها.. فوجئت ذات يوم برسالة من العلامة الاردني (روكس بن زائد العزيزي) يفجعني فيها بما جرى لآل الخليلي وعدة أسر في النجف من تهجير شمل جعفر الخليلي وحشداً من أسرته الكريمة شمل (علي وعبد الغني).

أبعد آل الخليلي إلى إيران بدعوى " التبعية ".. رحت اتقصى مكان تواجدهما حتى بلغني أنهما استقرا في (السويد) وتم الاتصال بهما، بعد جهد وعناء، اتصلت بعبد الغني فسرّ وابتهج ولمست انه على الرغم من الاجهاد والتعب لا يزال يتمتع بمعنويات عالية.. كان ذلك المحب للناس، العاشق للحياة لكنه مقل في كتابة الشعر كما أخبرني في زيارته باريس ١٩٩٤ التي كانت عشقه الثاني بعد (بغداد – النجف) – ظللنا على اتصال عبر وسائل الاتصال، وأذكر أنه اتحفني بمجموعة مصورات لمجلة (الاعتدال) النجفية التي كان يصدرها (محمد علي البلاغي) [١٩١٣ – ١٩٧٦]، ولا أريد أن أطيل، اكتفي بادراج رسائله التي انفذها اليّ ولم تنشر من قبل فهي تشي بالكثير الكثير عن الخليلي الرائع.

– تسلمت منه ثلاث بطاقات انيقات واحدة منهن تحمل صورة ديك رائع، شعره ملون وهو يصدح: البطاقة الثانية تحمل صورة ورود حمر في حقل شاسع، البطاقة الثالثة تحمل صورة طائر كبير يقف على عش جميل في ضفاف بحر: أدناه نص الرسالة المكتوبة على هذه البطاقات الجميلة.

أخي العزيز الدكتور العطية..

تحية ومودة:

بودي أن أسألك متى يرتقي هذا المؤذن المزهو بصوته وجماله المأذنة ببغداد، ومن فوقها، يعلن البشرى لأهل العراق، بطلوع فجر جديد، لا يعقبه ليل آخر أسود.. متى؟ ومتى ترحب بنا بغداد؟ هذا البستان الذي لهونا في ظله الأخضر ونحن شرخ؟.. وهناك على رحلة الشاطئ، بين النخلة وطيور الماء، نلتقي الأهل والصحب، فننسى ما كابدنا في المنافي من عذاب وحنين وننسى أننا صرنا شيوخاً علانا الشيب، ومن جديد نروح نحلم بأيام الشباب فدعوها للعودة، ولو تمر بنا طيفا يؤنسنا في وحشتنا المريرة.. ولا ندري هل تستجيب؟

اتمنى لباريس، صيفاً ينضح ضوءاً وعطراً وظلاً ناعماً، تنعم به الشقراوات في خلواتهن. وعسى أن يتركن لك منه نصيباً، يعينك برقة نسيمه وفتنة ليله – على تدوين خواطرك الجميلة وتصبح (نقطة الضوء) عندك شلالاً دافقاً.

أخي العزيز، ما أنفك صراخ الجياع في الوطن، يبلغ صداه المرعب الموحش أسماعنا، ولا أدري متى يبلغ هذا الصدى المرعب الموحش أسماع المترفين المتخمين من أبناء وطننا في الداخل والخارج فيرفعوا أصواتهم عالية قوية، في وجه الجلاد الذي أجاع أخوتهم في الوطن.. نعذرهم.. انهم مشغولون عن هذا الصراخ بسماع أغاني (الساهر) – رسول سارقي الرغيف من فم الجياع إلى هؤلاء المترفين المتخمين.. وبالتلذذ بأغنية (بتونس فيك) للجزائرية (وردة).. لن ننسى ان اخوتنا المصريين سكنة المقابر هم مثل شعبنا جياع ومرضى، ولكن ربما بأغنية (وردة) ينسون الجوع والمرض!!

بالمناسبة بلغني أن هذا الطائر الجميل ما عاد يزور العراق، ربما أرعبه صراخ الجياع والمرض!

المحب: الخليلي – ١٩٩٥/٧/٥

– وفي رسالة غير مؤرخة، هذا نصها:

أخي الكريم معذرة، أن الذي جرني إلى هذا الحديث المؤلم هو وصول رسالة في هذا الصباح من العراق، يشكو صاحبها فيها من الجوع والمرض اللذين سببا وفاة طفلين له. يقول فيها: كان بيتي يرقص لمرحهما ويشرق لابتسامتهما وبموتهما غشي البيت حزن موجع مدمر. يقول في رسالته هذه الدامعة: لن أطلب منك أية معونة، وأنما أردت أن تقاسمني حزني عليهما، ويعتذر.. وهذه الرسالة ليست الوحيدة التي تصلني من الوطن، فقد وصلتني قبلها رسائل عديدة كلها دامعة، موجعة. مرة أخرى أعتذر منك، وأن كنت تتلقى مثل هذه الرسالة بين حين وحين.

المحب: الخليلي

– وفي بطاقة تحمل صورة طائر كبير، جميل كتب اليّ الرسالة التالية:

أخي العزيز الدكتور العطية

تحية عطرة برائحة ثلج الشمال

لعل ربيع باريس، دخل الحدائق والبساتين مزهواً بأزهاره وطيوره ونوافذ البيوت استقبلته فرحة، وعذارى (السين) تحررن من ثقل الشتاء البغيض، واستقبلن النسيم عذباً. لكن ربيع هذا البلد، ما زال خلف الباب، يستأذن الدخول، وربيع وطني أغلقن دونه الأبواب منذ سنين، وما زال غناؤنا له حزيناً...

تلبية لطلبك أرسل لك هذه الصور، وعسى أن أعثر على صور أخرى فأزودك بها.. ويسرني أن أعرف موعد نشر مقالاتك عن شاعرنا الجواهري الكبير في (الشرق الأوسط) لمتابعتها.

يظل الجواهري ماثلاً في ذاكرة الشعب العربي نشيداً خالداً وشامخاً في حربه على المستعمر وأذنابه، فتفضل عليّ بإشعاري بوصول الصور ولك الشكر..

– في هذا الفجر أسمع أصوات عصافير يناشدن الربيع للعودة. وانني بانتظاره..

المحب: الخليلي – ١٠ /٤/ ١٩٩٦

[ملاحظة: مقالاتي عن الجواهري نشرت تحت عنوان (الجواهري شاعر القرن العشرين) في جريدة (الشرق الأوسط) ما بين ١٩٩٧/٦/٣٠ و ١٩٩٧/٧/١٠]

وفي رسالة أخرى يواصل الخليلي خواطره الحزينة فيقول:

حبيبي أبا اليمامتين الوديعتين الجميلتين الدكتور العطية:

كنت أحلم أن أنسى عتمة الشتاء وبرده في هذه الديار البعيدة الغريبة بزيارة باريس وأحبة فيها وهم من أحلى الأخوان وأرقهم مستمتعاً بجمال صيفها، وبالجلوس معهم في مقاهي (الحي اللاتيني) وهناك استعيد ذكرى نهار كان غنياً بالشعر، ومشرقاً بكؤوس من نبيذ أحمر، وبحلاوة حديث الصديق الشاعر " عدنان محسن " ×، الإنسان الذي (ما) فارقته براءة الطفولة، وسيظل هكذا، وان أدركه الشيب.. ولا أظن أن الشيب يجرؤ أن يمرّ به يوماً..

معذرة لك وللحبيب " عدنان "، فقد حرمتني ظروف ظالمة عن هذه الزيارة التي كنت أمنّي نفسي بها ولا بد من زيارة لها يا أحبائي مع التحية والمودة.

المحب عبد الغني

١٩٩٦/٦/٢٨ – ستوكهولم

× – عن كتاب صادر عن دار المدى

من ذكريات الاديب النجفي البغدادي عبد الغني الخليلي حفظنا الكثير، بعضه مما نشره في كتابه (سلاما ياغريب) والكثير مما رواه لنا، فقد كان يعاني آلام البعد عن الوطن.

بعد تهجيره من بغداد الى ايران في ثمانينات القرن الماضي، استطاع الانتقال الى السويد وسكن العاصمة ستوكهولم.

كنت ازوره لاما ونتحدث بالهاتف احيانا، سلمني بعض اوراقه ومراسلاته لتكون بعهدتي، ولانشر ما اجده صالحا للنشر.

هذه احدى الرسائل التي كتبها له الخطاط العراقي محمد سعيد الصكار، وهي بالاساس مقالة نشرها الخليلي عن معاناة والدته التي هجرت معه الى ايران وهي سيدة مسنة توفيت في ايران ودفنت هناك وهو يمنيها بنقل رفاتها الى مقبرة وادي السلام في النجف الاشرف كي تنام بين اهلها وابنائها.

عزيزتي أم عبد الغني

عليك سلامُ الله

نامي مطمئنة، لن يطولَ جوارك للشيرازي الحافظ كتاب الله، غداً أحملك الى واد يؤنس فيه وحدتك قصبُ الرعاة، ويعيدك أذانُ الفجرِ المنسابُ عبرَ الرمال من مئذنة الامام الذهبية الىَ مدينتك الموشحة بابتهالات المصلين وبنداءات الديكة.

لن يوحشك فيه غيابُ الشاعر، إنه يسكن ذاكرتك منذ الصبا، ربيعاً يتجدد، وفألاً حسناً، وشوقاً الى نسيم "المصلّى"، وماء "ركن آباد" حيث ينبوع الشعر يتدفق عذباً عميقاً.

اطمئني؛ ستنامين في ظل شجرة السدر العجوز التي غرسها جدك في رملة ذاك الوادي، وكان لك ولأترابك وللعصافير نصيبٌ من ثمرها الحلو الشهي.

غداً يحتضنك وادي السلام، حيث الاهل والجيران، وإخوتي الذين ماتوا وهم صغار، وحيث الفجر يداعبهم بأطيافه الأنيسة، وطيور الصحراء تفرش أجنحتها البيض على قبورهم.

عزيزتي... أسألك، هل زارك أخي علي؟ أم شغله عن زيارتك حزنهُ على بغداد.. وعن أبي، أما زال يهوى الحمامَ والشعر والورد، ويرافق الامام عليا في (نهجه) والمعري في (لزومياته)، والرومي في (مثنوياته)، والامام الشيخ محمد عبده في ثورته على كل قديم بالٍ؟ فلطالما حلا ليله برفقتهم.

عزيزتي... افرحي، جاء نسيم، وهو أول حفيد استقبله وأنا شيخ أضرُّ به البعد عن الوطن.

سيرث نسيم من أهله عشقهم للفرات وللنخيل ولحمام البساتين، ويغني لها.

ولدك عبد الغني الخليلي

في ذكرى رحيل الأديب والمناضل عبد الغني الخليلي

رحيم الحلي

رأيته عند الفجر يطوف في ازقة حارته النجفية، بثوب ابيض مثل قلبه الصافي، يضع طاقية مزركشة بخارطة العراق، يسير بخطىً هادئة ووئيدة، يصغي إلى صوت المأذن، وتلتمع في عينيه أضواء القباب الذهبية، فهو شديد التعلق بمدينته وبنصير الفقراء وامام الزاهدين النائم في ضريحه المقدس، حيث جاء محبوه ليبنوا بيوتهم، فكان النبع الذي الذي جذب الضامئون لمائه الغذب، فامتدت الحارات مثل السواقي فنشأت مدينة النجف على أطراف صحراء ممتدة.

في ذكرى رحيله لابد أن نستذكر هذه النخلة العراقية المثمرة المليئة برطب الأدب الذهبية والتي قلعتها من ارضها أيادي همجية لم تألف الأنهار والازهار، لترمى على حدود غريبة لم تفهم لغته وجمالها وحلاوتها.

في إحدى رسائله للأستاذ ثائر صالح صديق ابنه فارس

يقول (أمس مررت – وأنا في طريقي الى البريد – بحي قديم مهجور، يسرح الحمام على أرضه، مطمئناً، فترامى إليّ صوت عجلات مطبعة تدور، وكنت قد ألفت هذا الصوت منذ صغري، فوقفت أستزيد منه، ففي صداه تسكن طفولتي، وذكريات مجلات نجفية، كانت تطبع في مثل هذه المطبعة، وكنت مولعاً بقراءتها كم تمنيت، لو يتيح لي صاحب هذه المطبعة فرصة العمل عنده مجانا، ولو لساعات قليلة، لأعيش تلك الأيام التي قضيتها عاملاً في احدى مطابع النجف، وأنا في الثانية عشرة من عمري، وفي هذا المنفى البعيد صرت أحلم بذكريات ذلك العمر وإنا كنت قد شقيت به>

ربما يجمعنا الربيع أو الصيف في مدينتك الخضراء فقد دعاني صديق حميم يقيم في بودابست لزيارته وألح بدعوته وبين اسبوع وآخر يتصل بي عبر الهاتف واذ أسمع صوته أنسى أنني في هذا المنفى البعيد فكأن الوطن يقترب والأهل يقتربون معه وتلتف حولي ذكرياتهم الحلوة...).

(عزيزي ثائر: هل قرأت مجلة (الكرمل) وهل لديك عدد منها؟ منذ فترة وأنا أبحث عنها ولا أحد من اخواني أهدى إليّ عددا منها وكذلك ما زلت أبحث عن مجلة (الطريق) اللبنانية. ولو كان بريد بيروت مضموناً لاشتركت فيها، ويوم كنت في العراق وبرغم سوء الاوضاع لم يتعذر علي الحصول على أية مجلة أو كتاب ولكن المصيبة أن هذا المنفى لا يستقبل أي كتاب جديد أو أية مجلة غنية بالفكر والأدب وهكذا أقضي أيامي في وحدة قاتلة تزيد باحساسي بالغربة..).

(قريباً ألتقيك وأرجو أن تكون بانتظاري في المطار ولعل الربيع بكر في هذا العام فاخضر ذلك العشب الذي كنا نلوذ به كلما اضطهدتنا الغربة والوحدة.. هل تزور أهله الذين لا يغيب من سمائهم القمر.. سوف أقضي كل أيامي معهم ومع صخورهم وطيورهم وأرى كيف تزهر أشجار الكرز..).

ولد الأديب عبد الغني الخليلي في مدينة النجف عام ١٩٢٥، عُرفت أسرة الخليلي التي سكنت النجف في أواسط القرن الثامن عشر، بحبها الشديد للفكر والأدب، ومنها نبغ مشاهير في العلم والأدب والشعر والصحافة، بل والكفاح الثوري ضد الظلم والاستبداد، منهم القاص جعفر الخليلي والشاعر الناثر عباس الخليلي، وكانت مدرسة الخليلي منارة للعلم والمعرفة حيث خَرجت علماء وأدباء ومثقفين تتلمذوا على أيدي أساتذة كبار مثل حسين مروة ومحمود الحبوبي ومحمد جمال الهاشمي وغيرهم.×

عَرفْتهُ من خلال كتاباته الرائعة، في مجلة الثقافة الجديدة الذي يصدرها الحزب الشيوعي العراقي، وهي منبرُ فكري كبير، حيث دأب على الكتابة في هذه المجلة اليسارية، في الثمانينات من القرن الماضي وربما قبل ذلك، أتسمت كتاباته بمتانة أدبية مميزة، وإحساس مرهف، كان غالبا ما يتحدث عن ذكرياته في النجف، علاقته بالأدباء والأدب، وعلاقة أسرته بهذا الوسط الثقافي، تسحرني كتاباته في أجوائها الممتلئة بعبق الماضي، ودف الذكريات، وحنينه وحبه الشديد لوطنه العراق وأدباؤه وأنهاره، كلما أقرأ ما كتبه عن تلك الأيام في مدينته، فانه يحملني في بساط سحري جميل، فيطير بي فوق العراق، فوق مدينته الحلوة (النجف)، في تاريخها السياسي والديني والثقافي العريق، ليطل على مئاذنها وقببها التي يحن إليها، وينوح مثل نوح الحمام، وفي سنواته المبكرة أحب الشعر و الكتابات الأدبية، قرأ كثيرا للمتنبي وأحب ابن عربي، وحفظ ديوانا كاملاً للجواهري، وعن علاقته بالشاعر ألجواهري يقول:

"علاقتي بالجواهري قديمة فعائلتانا كانتا متجاورتين، أذكر محمد ألجواهري عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، كنت أزور عمي الطبيب محمد الخليلي حيث كان يقيم في الكوفة، وكان ألجواهري يعمل أستاذا للأدب العربي في ثانوية النجف، وكان بيت عمي مرتاد الأدباء والشعراء النجيين وغيرهم".

وأما الجواهري الخالد فقد خَصَّهُ بقصيدة جميلة منشورة في المجلد الرابع من ديوانه وكانت قد نشرت في جريدة اليوم اللبنانية ١٩٦٨/٢/٢٧:

أبا الفرسان انك في ضميري
و ذاك أعز دار للحبيبِ
وبي شوق إليك يهز قلبي
ويعصره فيخفق بالوجيبِ
وذكرك في فمي نغم مصفى
يرتّل في الشروق وفي الغروبِ
سلام الله يعبق بالطيوب
على ربع تحل به خصيبِ
ثري بالمَفاخر والمزايا
تورثها نجيب عن نجيب
أبا الفرسان إن عقّت ديار
عقدت بها شبابي بالمشيب
وذوّبت الضلوع على ثراها
ولم أطلب بها اجر المذيب
فلا عجب فقلبي ضاق ذرعا
بخير الناس احمد والحبيب
فذياك استبيح دما وعِرضا
وذاك قضى بها نحب الغريب
وسيم البحتري الهون فيها
وغص بحسرة الترب الحريب
على حين استباح الغر فيها
بقايا السيف والسلب الجليب
أبا الفرسان لاعجب بانا
نؤدي فدية البلد العجيب

تأسست أفكاره الأولى ومنطلقاته الفكرية من واقعه الاجتماعي النبيل، فقد عاش الأديب الخليلي في أسرة أدبية طيبة، شرب من ماء طيبها وأدبها، وتربى على حب الناس والأدب والشعر، يتحدث عن طفولته وذكرياته الأولى مع مدينته وبساتينها وأدباؤها، ينابيع معرفته.

"وكنت قضيت طفولتي بين أفياء تلك البساتين بصحبة مجموعة من أدباء المدينة، كان من بينهم خال أبي الميرزا محمود الخليلي والشيخ جواد الشبيبي وحيدر الحلي وجعفر الحلي ورضا الموسوي وباقر الهندي والشيخ هادي كاشف الغطاء وغيرهم."

من هذه البيئة الصافية الطيبة، وفي مدينة النجف التي رأى فيها وهو ابن الثانية عشر، صفوفاً من جنائز الشهداء التي وضعت في ضريح إمام الشرفاء علي (ع)، كي تدفن إلى جواره، كَتَبَ عن تلك الأيام المزدحمة بالآلام، ولكن كتاباته لم يقدر إن ينشرها.

"لا، أبداً لأن ماكتبته لم تكن لتسمح به الرقابة، فكانت كتاباتي لاتخلو من السياسة والإشارة إلى الاضطهاد الذي كان يعانيه الشعب من الحكم الملكي آنذاك، أتذكر وأنا في الثانية عشر من عمري وربما أكثر بقليل عندما خرجت من بيتي في حي العمارة إلى صحن الإمام علي،

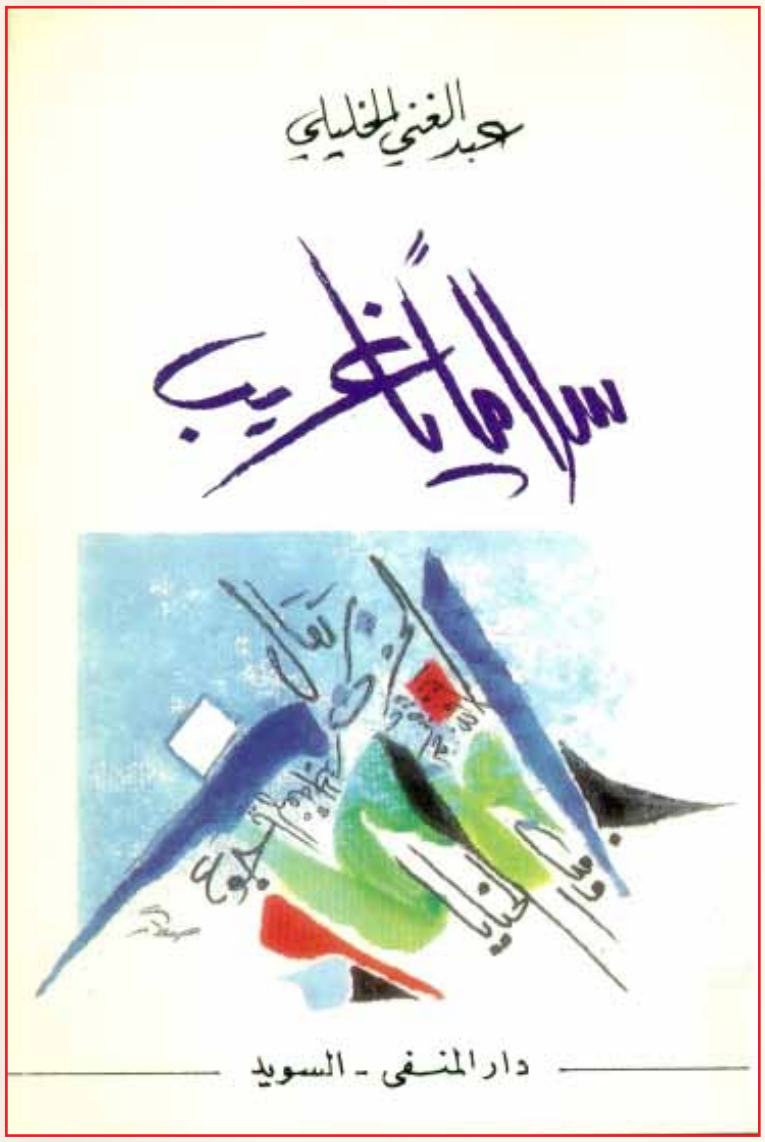

عليه السلام، فوجدت الصحن غابة من الجنائز، صفوفا ممتدة حتى باب السلام، ثم ذهبت إلى والدي فوجدت عنده علي الشرقي وإبراهيم الوائلي والزعيم عجمي أبو كلل يتحدثون عن مجزرة في الجنوب، في أطراف الرميثة، قام بها رشيد عالي الكيلاني وهذه الجنائز كانت ضحايا المجزرة، كان من بينهم مئات الأطفال، هذه الحادثة دونتها، وهي مازالت تثير الرعب في نفسي كلما تذكرتها، وأنت تعرف إن هذه وأمثالها كثير ترعب السلطة الحاكمة آنذاك".

شهداء من فلاحي الوطن قتلتهم بنادق الحكم الملكي، كانت تلك صدمته الأولى التي رسخته في طريقه، حيث انتصر للفقراء والشرفاء، ووجد في اليسار فلسفته للخروج من محنة الظلم والفقر والقسوة، فاختط طريق الناس ودرب الفقراء الذي اتصف العراق بهم، فبفضل حكامه أشتهر العراق بالفقراء منذ الولاة الأمويين والحكام العباسيين حتى الولاة البريطانيين والأمريكيين. وكما يقول السياب: ما مر عام والعراق ليس فيه جوع.

بدأ كتاباته الأولى في مراسلة الأدباء والكتاب، حيث كان الخليلي مولعا، ومنذ صغره بكتابة الرسائل، كان يراسل شخصيات ثقافية وأدبية عربية وعراقية كثيرة.. وفي إحدى المرات كانت قد وصلت له رسالة من الشاعرة مي زيادة عنونتها إلى الأخ الشاعر الكبير عبد الغني الخليلي يقول، في آخر مقابلة أجريتها معه، انشرها هنا لأول مرة، إن هذه الرسالة أطّلَعَ عليها عمه الكاتب جعفر الخليلي فكتب إلى زيادة يقول إن الأخ الكبير عبد الغني الخليلي ليس سوى صبياً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

لقد برع الأديب عبد الغني الخليلي، في ميدان أدبي، عرف بأدب الرسائل، وله كتابات كثيرة في هذا الميدان.

"أهتم الخليلي كثيرا بهذا اللون من الكتابة أو مايسمى بأدب الرسائل. وعن سؤالي له عما تعني إليه تلك التي الرسائل التي كان يدونها قال إنها تعني له الكثير. "إنها تعني لي المحبة التي تربطني بأصدقائي، خاصة وان كانوا هؤلاء بعيدين عني.. لكني كنت أراسل حتى الذين يسكنون على مقربة مني، في مناطق قريبة من منطقتي التي اسكن بها".

نظم الشعر وهو دون العشرين من عمره العطر، وكان يحلم إن يكون شاعرا كبيرا.

-" كان لدي ديوان معداً للطبع بحوالي أكثر من ألف وخمسمائة بيت، وكان لي صديق محامي يدعى حسن الحكيم كان يحفظ مانظمته من أشعار، ولا اعلم إن كان هذا الشخص على قيد الحياة، بعضاً من تلك القصائد نشرتها في صحيفة الغري" النجفية".

غادر النجف أواسط الأربعينات ليعمل معلماً في مدينة الكاظمية، ثم فصل من التدريس بسبب نشاطه السياسي، ثم عمل في مطبعة الزهراء التي يملكها عمه، ثم في مصرف الرافدين عام ١٩٥٤ حتى أحيل على التقاعد عام ١٩٧٦، وقد بلغ ماكتبه الألفي صفحة، صادرها منه نظام صدام، حين داهموا بيته ونهبوا كل محتوياته، وذهبت مخطوطاته بين أيدي ذئاب صدام، فحُرم القارئ من كتابات وذكريات، كانت سترفد مكاتبنا بنتاجه الخصب الثري، كانت كتاباته تاريخ سياسي ناصع، مكتوب بلغة النثر تتعشق فيه روح شعرية وتعطره نفسٌ شاعرية شفافة، اقتلعوا هذه النخلة العراقية وداسوا ثمارها، ورموها على حدود الوطن، منتزعين هويتها ووثائقها، معتقدين إن الوطن هو وثيقة يمنحها موظف حكومي، وكما نعرفهم فهم جهلة أغبياء، متسلطون، قدموا من إطراف الصحراء، أشباه

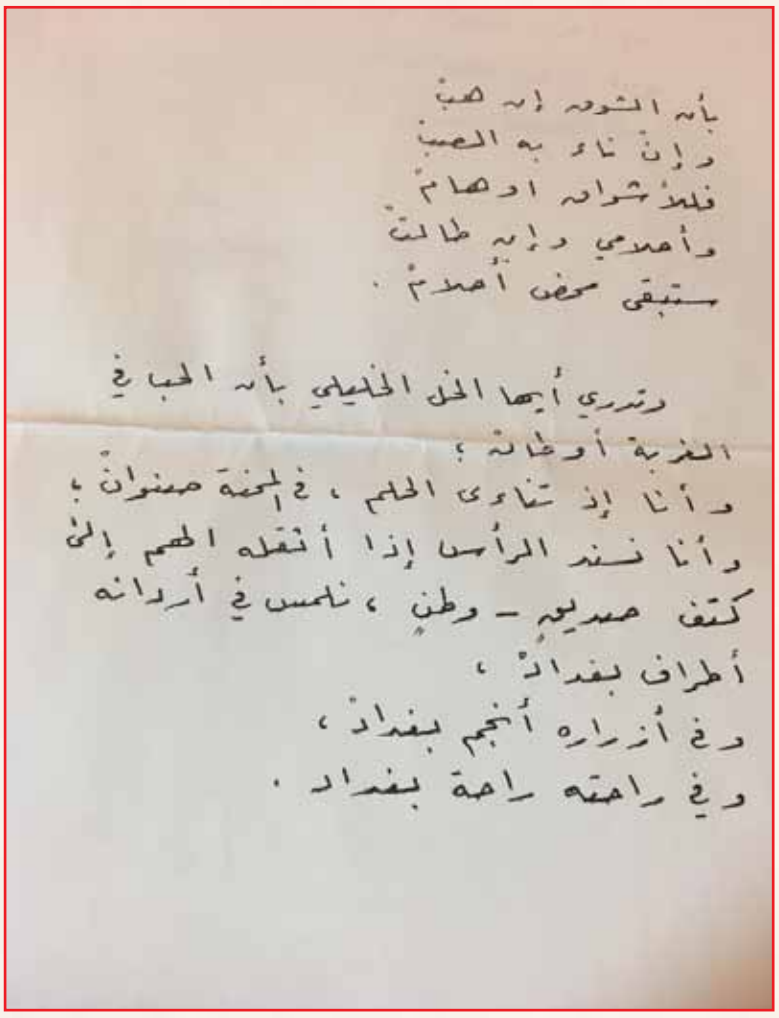

أميين، لايجيدون سوى الضغط على الزناد، ميزتهم الوحيدة هي الغلظة والفضاضة، عُرفوا بطباعهم القاسية الفظة التي صنعتها، ريح الصحراء الصفراء المغبرة، حكموا مدن سومر وبابل، وهم نفايات الصحراء ومخلفاتها.

تعرض لمأساة التهجير التي يندى لها جبين البشر، وقد بكيت مراراً هؤلاء المهجرون من أبناء وطني، رغم إني غريب مثلهم، أتنقل بين المعامل والورش حيث أتعرض للطرد على خلفية معتقدي وانتمائي، ابحث عن لقمة خبز مرة، في هذه الغربة القاسية، والتي وجدت حتى السجن أهون منها، بكيت هؤلاء المهجرين واعتصر قلبي ألمٌ شديد وحزن كبير، حين وجدت رجالاً كباراً، صودرت ممتلكاتهم وأموالهم، وانتُزع منهم أبنائهم الشبان، ورُموا في السجون ثم عرفنا بعد سقوط الطاغية صدام أنهم أعْدُموا، أصبح هؤلاء الرجال والمسنون مسؤولون عن إطعام أسرهم ودفع إيجارات السكن الغالية، حيث تعرضوا لاستغلال المالكين، فلم أجد أذىً وألماً وبؤساً مثل ذلك، يتحدث الخليلي عن رحلة التهجير الظالمة، ففي وصفه لرحلة التهجير السيئة الذكر وهو يسير بين الأدغال حاملاً أمه على ظهره لاينسى الخليلي ذكر الربيع الذي بدأ " يفرش الوديان والجبال والسهوب، بالأعشاب البرية، فخفقت أولى وريقاتها الخضر، وتغلغل الدفء إلى عظام أمي التي مسها البرد، وأضناها التعب، فتململت بحركة شفتيها تطلب مني شيئاً من الطعام، إذ ألحّ عليها الجوع، فمنذ ثلاثة أيام، لم تذق خلالها طعاماً ولاشراباً، سوى جرعات من ماء المطر المتجمع في الحفر، كنت أغرفه لها بيدي فتشرب.. وبينما كنت أبحث لها عن أعشاب ندية في مساكب الخضرة يمكنها أن تسد بها جوعها عثرت على الخباز البري، وحين عرفت أنها تعجز عن مضغه، رحت أمضغه لها وأدسه في فمها.

وفي عقد الثمانينات، عاش في دمشق عدة سنوات ثم غادرها إلى السويد، التي أعطته ماحرمه الحاكمون في وطنه، الأمان والمواطنة، فأخذ فرصة من الهدوء والاستقرار ليكتب كتابه اللطيف الشفاف، سلاما ياغريب، المكتنز بعطر الذكريات، المكتوب بلغة أدبية غاية في الثراء والخصوبة، جزلة وحلوة المذاق، متينة ورصينة، عبرت عن مخزون طافح، من قراءات نابتة في جذور نفسه الطيبة، التي شبت على حب الأدب والناس، لتقدم ملكة أدبية نفيسة، غيبتها سنوات العسف والظلم وقائمة الممنوعات بحق الكتاب الثوريين، أخذ يستجمع ذاكرته التي ارهقها الظلم والإرهاب، مستذكراً أحبته في الوطن، ابنه فارس، فبدأ يكتب حنينه، حبه ممزوجاً بحزن عراقي متجذر في النفوس المرهفة.

"كان الخليلي كلما خيم عليه ظلام ستوكهولم في نهاراتها الشتوية، التجأ إلى دفء ذاكرته، بشمس العراق وهديل حمائمه، وكثيراً ماتمنى لو أنه عاد إليه، رغم انه كان يخشى إن يكبر حزنه إن تنكرت له نخلته العزيزة يوم يعود، ثم يستدرك: "لكن من يدري، ربما أجدها مثلي وحيدة وقد خط الشيب ضفيرتها، ونأى عنها الجيران ولم يعد القمر ينثر عليها فضته ويسهر عندها في الليل" غير انه سرعان مايصحو من حلم يقظته فيتألم لما أصاب الوطن "ويخشى إن يراه مظلما، ليس كما في صورته التي يحملها عنه كل هذه السنين العجاف، لكن لو تفتح أبواب الوطن وأعود إليه، فلن أرى نجمة الصباح تتألق خافقة في زرقة السماء. فسيحجبها عن عيني دخان الحرائق ودموع الثكالى.."

ذات يوم من أيام غربتي الطويلة، كنت أسير برفقة صديقي الغالي، شوان جعفر نوري وهو احد الشباب المهجرين الذي نجا بقدرة قادر من الاحتجاز في سجون صدام، كنا نتمشى في شوارع حلب، استوقفنا معرض للكتاب، فاشتريت نسخة من كتابه، سلاما ياغريب، قرأته بلهفة، كان قطعة نفيسة من أدب الذكريات، تحدث فيها عن ذكرياته مع الجواهري ومهدي المخزومي ورحلاتهما ومشاركاتهما في مهرجانات المربد الشعرية، حيث ربطته علاقة وثيقة بأدباء العراق وكتابه، ومنهم الناقد الدكتور علي جواد الطاهر.

تحدث في كتابه سلاما ياغريب الذي صدر الجزء الأول في السويد والثاني من دار المدى في دمشق والتي أسسها الأستاذ فخري كريم، هذه المؤسسة التي دعمت الكتاب والأدباء اليساريين ورعت الثقافة بشكل عام، تحدث عن أيام صباه، داره ونخلته الشامخة، جيرانه، المئاذن والقباب، وهدير الحمام.

لم يفتقد روح الشباب رغم السنوات المُرَّة، والخطوب الجسام، فهو كما سماه الشاعر مصطفى جمال الدين شيخ الشباب، كان يحلم إن يرى نجمة الصباح تتألق خافقة في زرقة السماء التي تبتهج نفسه، حين تراها تلمع فوق المئاذن الجذلة بأنوارها الذهبية، كأنها نقطة فضة في صحن من ذهب، هذه الصور لازمته في يقظته وأحلامه، كنت أتمنى إن نعود لنراها معا بعد زوال دولة الظلم الصدامية.

صُدمت برحيله حين غادر عالمنا المزدحم بالآلام والأحزان، الممتلئ باللصوص والدجالين والمدعين والحكام الظالمين، رحل إلى نجمته التي أحبها كي يعيش في عالم أبهى وأرق، في يوم الجمعة، الخامس عشر من تشرين الثاني عام ٢٠٠٢، محمولاً على أكتاف محبيه، نحو مقبرة في شمال العاصمة السويدية ستوكهولم، حيث يوارى ثرى ارض غريبة، بعيداً عن مدينته التي ولد فيها، وعن كثير من أحبته الذين حلم برؤيتهم، تاركاً كثيراً من الأمنيات التي لم تتحقق، رحل قبيل الفجر بلحظات، الفجر الذي سهر لأجله سنوات طوال، كي يرى نهاية الطغاة الذي فتكوا بالعباد وسرقوا رغيف الجياع، والذين حولوا ليل العراق إلى طقس للموت والعذاب على ايقاع ورقص غجري بليد.

تربطني علاقة مميزة بأسرة الخليلي، والتي لها فضلٌ كبير علي، حيث أنقذوني من الضياع في الصحراء أثناء هروبي من العراق، ومن المكوث في السجن طويلا، حيث طلبوا من الجواهري التوسط لإخراجي منه، تربطني علاقة قديمة ومتينة مع هذه العائلة الرائعة، فقد سكن فرع من هذه الشجرة الطيبة في مدينة الحلة، حين قصدها المرحوم محمد حسين الخليلي مع بعض من أقرباءه، فكانت عائلته، بقعة لامعة في المجتمع الحلي، حيث امتازت بالطيبة والإيثار والتفاني من اجل الآخرين وخاصة المظلومين، وانخرط كثيرون منهم في حزب الفقراء، الحزب الشيوعي العراقي، تعرض بعضهم للاعتقال السياسي، وتعرضت الأسرة لتهجير عنصري طائفي، دشنه العفالقة ضد أبناء وطننا، وأعتقل احد أبناء الأسرة، الأخ فارس، وأعدم في نقرة السلمان التي أعادها للعمل الطاغية المقبور، وقدمت الأسرة بطلاً أخر، الأخ فاخر، الذي استشهد في جبال كردستان في حركة الأنصار في نيسان عام ١٩٨٣، وهو يسعى، إلى اقتلاع أفاعي الصحراء المتحكمة ببلد الحضارة، وقد كان فاخر نموذجاً نادراً للتضحية وحب الناس، وخاصة الفقراء، ورمزا للوفاء، ربطتني معه إخوة لن يطفئ جذوتها الزمن، وتظل لهفتي وحزني عليه، ترافقني حتى نهاية العمر، وعندما أطيل النظر في صورة عبد الغني الخليلي، أرى الشهيد فاخر الخليلي وقد امتد به العمر.

العدد (5436)
السنة العشرون -
الخميس (25) أيار
2023

قم فالبلاد على شفا الطوفان

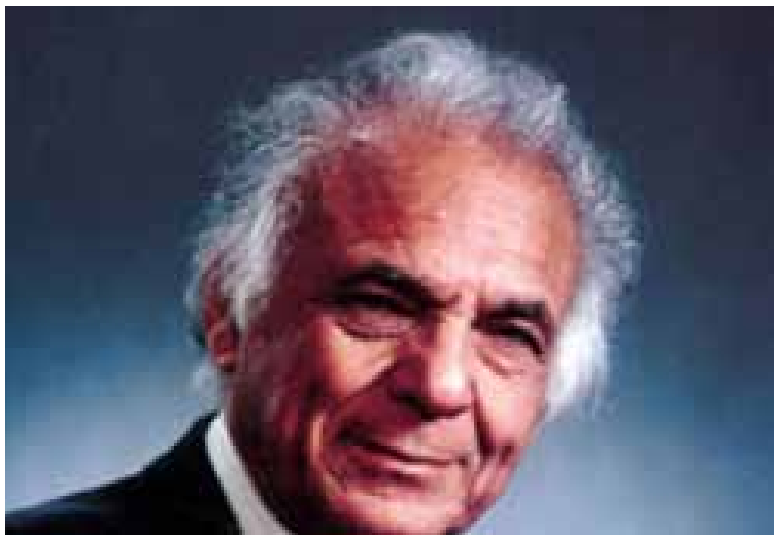

عبدالغني الخليلي.. الأديب الذي كابد الغربة وظلم الطغاة

محمد الكحط

الحديث عن الأديب الفقيد عبد الغني الخليلي ذو شجون، فهو كنز فقدناه، لكنه ترك أثراً وإرثاً كبيرين في المجالين الإنساني والثقافي، إنه ابن النجف التي ولد على أديمها عام ١٩٢٥، وفيها نهل من منابع الثقافة، حين كانت النجف –آنذاك– في خضم حركة ثقافية زاهية، حيث أمضى طفولته بين أفياء تلك البساتين بصحبة مجموعة من أدباء المدينة، كان من بينهم خال أبي الميرزا محمود الخليلي، والشيخ جواد الشبيبي، وحيدر الحلي، وجعفر الحلي، ورضا الموسوي، وباقر الهندي، والشيخ هادي كاشف الغطاء، وغيرهم.

في أواسط الأربعينيات غادر النجف إلى بغداد، حيث مارس مهنة التعليم في مدرسة بالكاظمية، لكنه سرعان ما فصل منها بسبب نشاطه السياسي وعاد إلى النجف، ليعود بعد سنوات إلى بغداد ليعمل في مطبعة الزهراء، التي التي كانت ملكاً لعمه، بعدها بعامين انتقل للعمل في البنك اللبناني المتحد، ثم في مصرف الرافدين ببغداد حتى عام ١٩٧٦، وبعد اثنين وعشرين عاماً من عمله في البنك أحال الخليلي نفسه الى التقاعد ليتفرغ للكتابة.

تهجير ظالم

بدأ عبد الغني الخليلي مرحلة جديدة من الإبداع دوّن فيها ذكرياته، لحين تهجيره وعائلته، التي يقول عنها: في أواخر السبعينيات بلغ ما كتبته ألفي صفحة. ثم جاءت عملية التهجير الظالمة فاستولى الجلاوزة على البيت وما فيه من كتب ومن ذكريات مدونة على الورق.

كان الخليلي مولعاً منذ صغره بكتابة الرسائل، وأجاد فنها، فكان يراسل شخصيات ثقافية وأدبية عربية وعراقية، منهم: الشاعرة مي زيادة، وبشارة الخوري، ومارون عبود، وبدوي الجبل، والحبوبي، والجعفري، والوائلي، والهاشمي، وغيرهم. وكان يحتفظ بصندوق مليء بتلك الرسائل.

وكما معروف عنه أنه نظم الشعر وهو دون العشرين من عمره، ونشر العديد من قصائده في وقت مبكر، وقد درس تراث ابن عربي والمتنبي وحافظ ابراهيم، فهو ابن اسرة الخليلي المعروفة، ومن هذه العائلة القاص جعفر الخليلي والشاعر عباس الخليلي وغيرهما من الرموز الثقافية.

مع الجواهري

ارتبط الخليلي ثقافياً مع الحركة الوطنية العراقية منذ صباه، حاله حال أبناء جيله، فكتب العديد من المواد في مجلة "الثقافة الجديدة" التي كانت منبراً فكرياً مهماً، فقد أحب الشعر مبكراً، بل قرأ لأهم الشعراء، فقد قرأ للمتنبي وأحب ابن عربي، ويقال إنه حفظ ديواناً كاملاً للجواهري، إذ كانت تربطهما معاً علاقة خاصة، عن هذه العلاقة يقول: علاقتي بالجواهري قديمة، فعائلتانا كانتا متجاورتين، أذكر محمد الجواهري عندما كنت في الثانية عشرة من عمري، كنت أزور عمي الطبيب محمد الخليلي، حيث كان يقيم في الكوفة، وكان الجواهري يعمل أستاذاً للأدب العربي في ثانوية النجف، وكان بيت عمي مرتاد الأدباء والشعراء النجفيين وغيرهم.

وقد كتب الشاعر محمد مهدي الجواهري قصيدة خصه بها وهي منشورة في المجلد الرابع من ديوانه، وكانت قد نشرت في جريدة "اليوم" اللبنانية بتاريخ ٢٧/٢/١٩٦٨، وفيها يقول الجواهري:

أبا الفرسان إني في ضميري
وذاك أعز دار للحبيب
وبي شوق إليك يهز قلبي
ويعصره فيخفق بالوجيب
وذكرك في فمي نغم مصفى
يرتّل في الشروق وفي الغروبِ
سلام الله يعبق بالطيوب
على ربعٍ تحل به خصيبِ
ثري بالمَفاخر والمزايا
توارثها نجيب عن نجيب
أبا الفرسان إن عقّت ديار
عقدت بها شبابي بالمشيب
وذوّبت الضلوع على ثراها
ولم أطلب بها أجر المذيب
فلا عجب فقلبي ضاق ذرعاً
بخير الناس أحمدَ والحبيبِ
فذياك استبيح دماً وعِرضاً
وذاك قضى بها نحب الغريب
وسيم البحتري الهون فيها
وغصّ بحسرة الترب الحريب
على حين استباح الغرّ فيها
بقايا السيف والسلب الجليب
أبا الفرسان لاعجب بأنا
نؤدي فدية البلد العجيب

لقد كان لجريمة التهجير السيئة الذكر إلى إيران، بحجة التبعية الإيرانية، أثرها ووقعها الكبيرين على حياته، وصفها في كتاباته لاحقاً، ولربما أشد ما يحزننا، ونحن نقرأ، وصفه مسيره بين الأدغال حاملاً أمه على ظهره، وكيف كانت تعاني وإياه من الجوع والعطش، سوى جرعات من ماء المطر، فيقول: كنت أغرفه لها بيدي فتشرب.. وبينما كنت أبحث لها عن أعشاب ندية في مساكب الخضرة يمكنها أن تسد بها جوعها، عثرت على الخباز البري. وحين عرفت أنها تعجز عن مضغه، رحت أمضغه لها وأدسه في فمها. هذه صورة واحدة من ملايين الصور التي تعكس معاناة آلاف العراقيين الذين هجّرهم نظام صدام المجرم عنوة بدون ذنب. ولم تتحمل أمه تلك الظروف فتوفيت ودفنت بعيداً عن مدينتها النجف.

وكتب عنها رسالة رثاء مؤثرة بعنوان (إلى أم عبد الغني) كما كانت تسمى، وهذا الرثاء خطه فيما بعد الشاعر والخطاط الفقيد محمد سعيد الصكار بخطٍ جميل.

الهجرة الثانية

بعد معاناة طويلة في إيران، شدّ عبد الغني الخليلي الرحال واختار العيش في السويد في آخر أيام حياته. وفي ستوكهولم، حيث مقر إقامته، كان له نشاط اجتماعي وإبداعي أدبي، محوره الأساسي مراسلاته الأدبية من خلال علاقاته المتشعبة مع العديد من الرموز الأدبية والثقافية العراقية، لكنه لم يكن يفكر في التأليف والنشر لولا التشجيع والحث من قبل بعض زملائه، فقد خضع في الأخير لرغباتهم فقام بجمع بعض نتاجاته وأصدر منها الجزء الأول من كتابه (سلاماً يا غريب) دار المدى نشرت له، ومن ثم الجزء الثاني. كما كان متابعاً جيداً للنتاجات والنشاطات الثقافية في السويد، حيث كانت الأوضاع في العراق حافلة بالأحداث السياسية، وكان يسهم بحضور وبث روح التفاؤل والأمل بين الجميع.

في إحدى رسائله الى الأستاذ ثائر صالح، صديق ابنه فارس، نشعر مرارة الغربة حيث يقارنها بالأيام المضنية في العراق.

يقول: أمس مررت – وأنا في طريقي الى البريد –بحي قديم مهجور، يسرح الحمام على أرضه، مطمئناً، فترامى إليّ صوت عجلات مطبعة تدور، وكنت قد ألفت هذا الصوت منذ صغري، فوقفت أستزيد منه، ففي صداه تسكن طفولتي، وذكريات مجلات نجفية كانت تطبع في مثل هذه المطبعة، وكنت مولعاً بقراءتها. كم تمنيت، لو يتيح لي صاحب هذه المطبعة فرصة العمل عنده مجاناً ولو لساعات قليلة، لأعيش تلك الأيام التي قضيتها عاملاً في إحدى مطابع النجف، وأنا في الثانية عشرة من عمري، وفي هذا المنفى البعيد صرت أحلم بذكريات ذلك العمر وأنا كنت قد شقيت به.

كتب له الشاعر العراقي خلدون جاويد هذه الأبيات، إذ ربطتهما علاقة صداقة طيبة:

قم ياغني الليل زائل
والسجن حُطم والسلاسل
ولربما المنفي الكسير
إلى المزار الأم راحل
قم ياغني لعلنا
متنسمين هواء بابل
وعسى الجنائن أورقت فرحاً
وغرّدت البلابل
قم ياغني لنحتفي
بك كالأزاهر بالجداول
قم فالبلاد على شفا الطوفان
تجرف كل قاتل
قم ياغني لنغتني بك
بالمنابع بالمناهل
ياابن الفرات الفذ لا
تذبل فما الجوري ذابل
يازهرة النجف المنيف
أريجك العلوي حافل
ياغصن أجمل كربلا
في الكون يانفح الخمائل
قم ياابن أزهى كعبة للعلم
يالغة الفطاحل.

مجزرة في الجنوب

يقول عن أسباب عدم نشر أعماله ومذكراته: ما كتبته لم يكن لتسمح به الرقابة، إذ أن كتاباتي لا تخلو من السياسة والإشارة الى الاضطهاد الذي كان يعانيه الشعب من الحكم الملكي آنذاك. اتذكر وأنا في الثانية عشرة من عمري، وربما اكثر بقليل، عندما خرجت من بيتي في حي العمارة الى صحن الإمام علي كرم الله وجهه فوجدت الصحن غابة من الجنائز، صفوفاً ممتدة حتى باب السلام، ثم ذهبت الى والدي فوجدت عنده علي الشرقي وابراهيم الوائلي والزعيم عجمي أبو كلل يتحدثون عن مجزرة في الجنوب، في أطراف الرميثة، قام بها رشيد عالي الكيلاني. وهذه الجنائز كانت ضحايا المجزرة، كان من بينهم مئات الأطفال. هذه الحادثة دونتها، وهي ما زالت تثير الرعب في نفسي كلما تذكرتها. وأنت تعرف أن هذه وأمثالها كثير ترعب السلطة الحاكمة آنذاك.

غادرنا عبد الغني الخليلي يوم الجمعة، الخامس عشر من تشرين الثاني عام ٢٠٠٢م، محمولاً على الأكتاف إلى مقبرة في شمالي ستوكهولم، تقع قرب سكني، يرقد بسلام تحيط به الزهور والسهوب الخضر على ضفة بحيرة جميلة، يرقد هادئاً بسلام حاملاً معه ذكرياته وآلامه وأحلامه....

في الأول من تموز ١٩٩٦ يكتب الى أحد أصدقائه:)) أترى نعود إلى بغداد؟ ومن جديد نألف مقاهيها الحبيبة، وأحبة لنا فيها، وننسى ما كابدنا في الغربة:

ونحن، يا ترى هل سنعود إلى بغداد ونعيش ما تبقى من العمر في كنفها...؟؟

وأقصد تلك بغداد التي ألفناها، والتي كانت..

توجهنا الى ابنه الدكتور فارس الخليلي مستفسرين عن مصير أرشيف الوالد الإبداعي الأدبي، إذ ترك الوالد نتاجاً إبداعياً لم ير النور، وهنالك العديد من المراسلات الأدبية، والكتب والتعليقات والصور وهي تمثل أرشيفاً لحياة الفقيد الخليلي، وعلمنا أن هنالك كتابات ومكتبة تحوي مصادر مهمة مع أرشيف الفقيد ما زالت موجودة...

ونقول: متى يعود العراق معافى ليستذكر أبناءه البررة ومبدعيه ممن تعرضوا للظلم والاضطهاد، وتجرعوا مرارة الغربة مرغمين على ذلك، ومتى تهتم دولتنا بجمع نتاجات من فقدناهم في الشتات، لنعيد الاعتبار لهم باسم الوطن الذي أحبوه وتغنوا به وعاش في أفئدتهم...وتحملوا عناء ذلك الحب...

متى....؟؟؟

عبد الغني الخليلي.. كيف مدحه الجواهري؟

د.رحيم هادي الشمخي

في أواسط الأربعينيات غادر مدينة النجف الأشرف -التي ولد فيها- إلى العاصمة بغداد، حيث مارس مهنة التعليم، لكنه سرعان ما عاد إلى مدينة النجف ليعمل في مطبعة الزهراء، وعمل في البنك موظفاً، وبعد اثنين وعشرين عاماً أحيل إلى التقاعد وتفرّغ للكتابة.

كان الشاعر عبد الغني الخليلي مولعاً منذ صغره بكتابة الرسائل، وأجاد منذ صغره فيها، فكان يراسل شخصيات ثقافية وأدبية عراقية وعربية، منهم: مي زيادة، بشارة الخوري، مارون عبود، بدوي الجبل، الحبوبي، الجعفري، الوائلي والهاشمي وغيرهم، وكان يحتفظ بصندوق مملوء بتلك الرسائل، وقد عرف عنه أنه نظم الشعر وهو دون سن العشرين من عمره ونشر العديد من قصائده في وقت مبكر، وقد درس تراث ابن عربي والمتنبي وحافظ إبراهيم.

ارتبط الخليلي ثقافياً مع الحركة الوطنية العراقية أيام الأربعينيات منذ صباه، حاله حال أبناء جيله فكتب العديد من المواد في مجلة الثقافة الجديدة التي كانت منبراً فكرياً مهماً، فقد أحب الشعر مبكراً، بل قرأ لأهم الشعراء، فقد قرأ المتنبي، وأحب ابن عربي، ويقال إنه حفظ ديواناً كاملاً للجواهري، إذ كانت تربطهما علاقات خاصة، وقد كتب الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري قصيدة خص بها زميله الشاعر عبد الغني الخليلي، منها:

أبا الفرسان إنك في ضميري
وذاك أعز دار للحبيب
وبي شوق إليك يهزّ قلبي
ويعصره فيخفق في الوجيب
وذكرك في فمي نغم مصفى
يرتل في الشروق وفي الغروب
سلام الله يعين بالطيوب
على أربع تحل به خصيب
ثري بالمفاخر والمزايا
توارثها نجيب عن نجيب
أبا الفرسان إن عقت ديار
عقدت بها شبابي بالمشيب
وسيم البحتري الهون فيها
وغصّ بحسرة الترب الحريب

شد عبد الغني الخليلي الرحال إلى السويد في آخر أيام حياته، وفي (استوكهولم- العاصمة السويدية) كان له نشاط اجتماعي وإبداعي أدبي محوره مراسلاته الأدبية من خلال علاقاته المتشعبة مع العديد من الرموز الأدبية والثقافية، فأصدر الجزء الأول من كتابه (سلاماً يا غريب) ومن ثم نشرت له دار المدى الجزء الثاني، ونشر العديد من النتاجات الأدبية في الصحف السويدية باللغتين العربية والإنكليزية.

في الأول من تموز عام ١٩٩٦ يكتب إلى أحد أصدقائه: "أترى نعود إلى بغداد؟ ومن جديد تألف مقاهينا الجديدة، وأحبة لنا فيها، وننسى ما كابدنا في الغربة"...

غادرنا الشاعر عبد الغني الخليلي يوم الجمعة الخامس عشر من تشرين الثاني عام ٢٠٠٢ محمولاً على الأكتاف من الشعراء والأدباء والكتّاب العربي في استوكهولم، (رحمه الله)، وقد كتب الشاعر (خلدون جاويد) من سورية هذه القصيدة بحق الشاعر في بلاد الغربة، نقتطف منها:

قم يا غني الليل زائل
والسجن حطم والسلاسل
ولربما المنفى الكسير
إلى المزار الأم راحل
قم يا غني لعلنا
متنسمين هواء بابل
وعسى الجنائن أورقت فرحاً
وغرّدت البلابل
قم يا غني لنحتفي
بك كالأزهار بالجداول
ثم فالبلاد على شفا الطوفان
تجرف كل قاتل

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

من خزين الذاكرة: عبد الغني الخليلي، الشاعر والانسان

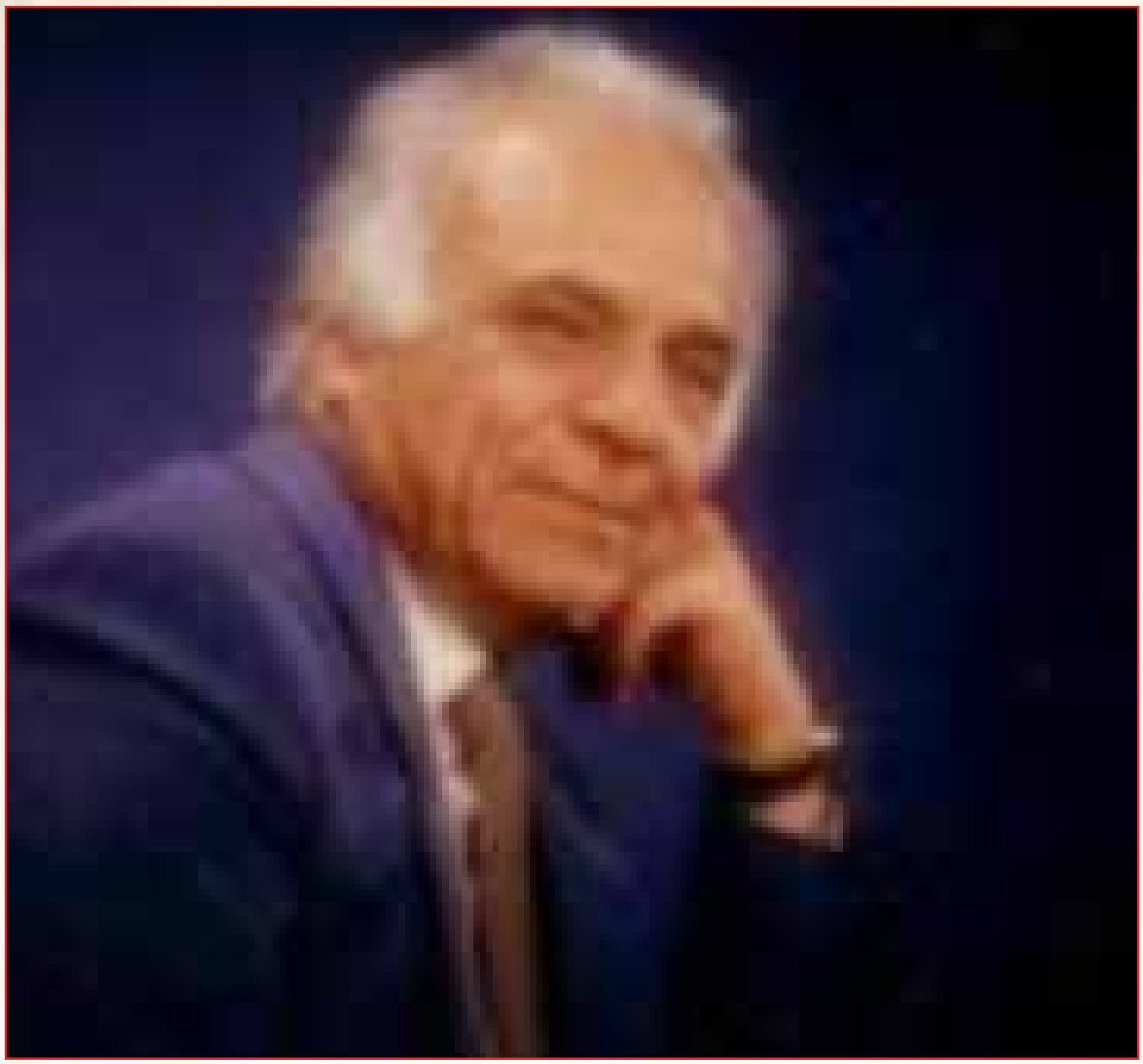

د. عبد الاله كمال الدين

مساء الثامن من شباط عام ١٩٦٦ وصلت الى مطار بغداد القديم(مطار المثنى حاليا) قادما من براغ لتفقد الوضع الصحي لوالدي المصاب بالشلل، كنت أتوقع انني ساجابه مشاكل أمنية لصلاتي سابقا بالهيئة العليا للدفاع عن الشعب العراقي التي شكلت في براغ برئاسة الجواهري على اثر انقلاب عبدالسلام عارف والبعثيين وارتكاب الحرس القومي مجازر لم يعرف لها التاريخ مثيلا.. وحدث ما توقعته اذ ابلغني ضابط الجوازات بوجود أمر إلقاء قبض يخصني.. إصابني الوجوم والحزن والحيرة، فجأة جاء ضابط عرفني على نفسه قائلا أنا وليد انور بابان وزوجتي صديقة خطيبتك وقد توقعنا تعرضك لإشكالات فحضرت لمعالجتها. تحدث وليد طويلا مع امن المطار واتفق معهم ان يكفلني ثم أقوم بتسليم نفسي بعد ثلاثة ايام للامن العام..، بعد تفقد والدي ذهبت ووليد للامن العام وسلمت نفسي لهم فنقلوني الى مديرية شرطة الأعظمية في منطقة الكسرة ورموني في التوقيف مع المجرمين والنشاله وسواهم.. كان شقيقي الأكبر خليل يتردد علي باستمرار ليخبرني بجهوده في إخراجي من التوقيف، بعد أسبوع ابلغني انه حكى لصديقه عبد الغني الخليلي الموظف في البنك اللبناني المتحد تفاصيل ما جرى وقد اصطحبه عبد الغني لزيارة تاجر كبير في الشورجة يرتبط بعلاقة مع شخص مقرب من رأس النظام سيحسم موضوع معاناتي في الإحالة الفورية لمحكمة الثورة في معسكر الرشيد، بعد ايام نقلت الى قاعة الانتظار في محكمة الثورة فوجدت القاعة مكتظة بالموقوفين ومعظمهم من البعثيين الذين قبض عليهم عبد السلام في حركته المضادة للحرس القومي.. اقترب مني احد الموقوفين وقدم نفسه. سالم الشكرة(والد فهد الشكرة رئيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق بعد ١٩٦٨) معتقدا بانني بعثي،، التزمت الصمت الى ان جاء دوري للوقوف امام رئيس المحكمة نجم الدين عبدالله، شعرت ان وساطة من وعد بمساعدتي قد أخذت سبيلها لهيئة المحكمة اذ أصدرت قرارا بالإفراج عني بكفالة شقيقي خليل والسماح لي بتكملة دراستي والعودة للمحكمة والا سيتم القبض الى الكفيل..

خرجت طليقا وذهبت بصحبة خليل للقاء عبد الغني الخليلي الذي حضنني فرحا ودعاني للغذاء في بيته العامر في حي التشريع قرب قاعة الخلد، بعدها توثقت علاقتي بهذا الانسان النبيل الطيب القلب فدعوته لمشاهدة مسرحية ". الدبخانة" لفرقة ١٤ تموز على قاعة المسرح القومي في كرادة مريم،، كان عبد الغني الخليلي رحمه الله ميسور الحال ومتزوج من ابنة ناجي جواد الساعاتي وتربطه علاقة وطيدة بشاعر العرب الاكبر المرحوم محمد مهدي الجواهري ومن منطلق علاقة الصداقة تلك اشرف عبد الغني الخليلي على بناء دار الجواهري في حي القادسية(متحف الجواهري)، لكن الجواهري زعل بعئذ على عبد الغني وتراجع عن زعله بنشر قصيدة اعتذار بعنوان" ابو الفوارس".

عرف عن عبد الغني الخليلي. الاديب والشاعر والمثقف الواعي صلته بابرز المثقفين من أدباء وشعراء ومؤرخين واكاديميين مرموقين و وقوفه المشرف مع من يطلب مساعدته وقد ذكر لي الصديق الدكتور ماهر الخليلي ان المرحوم سامي عبد الحميد اخبره بانه حين فصل من وظيفته عام ١٩٦٣ لجأ الى عبد الغني ليجد له وظيفة في المصرف فتولى عبد الغني الامر على الفور. حين باشر النظام السابق بترحيل من اطلق عليهم صدام بالتبعية رحل عبد الغني ومعه شقيقه المصرفي علي الخليلي الى ايران وصودر داره وممتلكاته بعدها غادر ايران متوجها للسويد ليقيم مع اسرته وفي السويد أمسى صديقا للعراقيين المهاجرين بسبب النظام الدكتاتوري السابق

فكان رحمه الله لا يبخل على احد بالمساعدة بحدود قدراته وخلال سنوات في الغربة اصدر كتابه " سلاما يا غريب" بجزأين دون فيه بعضا من العذابات التي مر بها في حياته. توفي عبدالغني في السويد في الخامس عشر من عشرين الثاني ٢٠٠٢ وترك ارثا من الاعمال الخيرة والمواقف الانسانية والثبات على المبدأ. فاستحق التبجيل وذكر طيباته اما من اضر به دون حق فقد رحل ملعونا الى يوم الدين.